أساليب الدعوة في حوار سيدنا موسى مع قومه

د. أماني حسن محمد حسن أستاذ مساعد - قسم الدراسات الاسلامية - كلية التربية ـ- جامعة دنقلا

مستخلص:

هذه الدراسة بعنوان أساليب الدعوة في حوار سيدنا موسى مع قومه، فحوارات الأنبياء مع أقوامهم من الموضوعات المهمة حيث كان سيدنا موسى عليه السلام من الأنبياء أولو العزم وكانت بنو إسرائيل من أشد الاقوام وأعنتهم في التعامل مع انبيائهم، حيث ناقشت الدراسة اهم مواقف سيدنا موسى مع قومه وما سار عليه نهجه في الدعوة مقابل تعنتهم، وتتمثل أهمية الدراسة في أنها تسلط الضوء على قصص حوار سيدنا موسى مع قومه وأساليبه التي اتبعها في دعوة بني إسرائيل للإيمان بالله، وهدفت الدراسة الى بيان أهمية الحوار في الدعوة الى الله وأهم متطلباتها، وبيان أساليب الدعوة التي اتبعها موسى عليه السلام، وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي، وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج أهمها أن دعوة موسى مع قومه أنه تناولت القضايا الإنسانية التي سايرت البشرية منذ بعثته وحتى عصرنا الحالي ومازالت هي قضايا الإنسانية المعاصرة وهي: الطغيان ووجوب مقاومته بالعلم ووجوب اتباعه، وأن حوارٌ سيدنا موسى يحكي قصة معاناة قادة الإصلاح في سبيل هداية وإصلاح أقوامهم، ففي مقابل بذل النصح من موسى لهم بالاستعانة بالله تعالى والصبر.

كلمات مفتاحية: الحوار، العقيدة، الدعوة، بنو إسرائيل، الحجة.

Conversation in the dialogue of our master Moses with his people

Dr. Amani Hassan Mohamed

Abstract:

This study is entitled “Methods of Calling to Islam in the Dialogue of Our Master Moses with His People.” The dialogues of the prophets with their people are important topics, as our master Moses, peace be upon him, was one of the prophets of resolve, and the Children of Israel were among the most steadfast and determined peoples in dealing with their prophets, The study discussed the most important positions of our master Moses with his people and what his approach to calling to God followed in the face of their stubbornness. The importance of the study is that it sheds light on the stories of our master Moses’ dialogue with his people and the methods he followed in calling the

Children of Israel to believe in God. The study aimed to show the importance of dialogue in calling to God and its most important requirements, and to show the methods of calling that Moses, peace be upon him, followed. The study used the inductive approach, and reached several results, the most important of which is that Moses' call to his people addressed the humanitarian issues that have accompanied humanity since his mission until our current era and are still the issues of contemporary humanity, namely: tyranny and the necessity of resisting it with knowledge and the necessity of following it, and that the dialogue of our master Moses tells the story of the suffering of the leaders of reform in order to guide and reform their people, in return for Moses' advice to them to seek help from God Almighty and to be patient.
Keywords: Dialogue, Belief, Call, The Children of Israel, Argument

مقدمة:

لقد بعث الله الرسل لأغراض عديدة تهدف لهداية البشرية ورفع الجهل والضلال والمشكلات الأخلاقية وتوضيح الطريق الصحيح لهم. وعندما يستشري الفساد في الاقوام يبعث الله الرسل لهدايتهم ولكنهم يواجهون صعوبات في الدعوة لتمسك أقوامهم بضلالتهم وما وجدوا عليه آباءهم.

موسى عليه السلام أرسله الله لبني إسرائيل لهدايتهم فعانى من تعنتهم فكانت دعوته مناسبةً لطبيعتهم وما هم عليه من تعنت وتمسك بالضلال فواجه فرعون وقومه بأساليب عدة تقتضيها المواقف نفسها.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في أنها تسلط الضوء على قصص حوار سيدنا موسى مع قومه وأساليبه التي اتبعها في دعوة بني إسرائيل للإيمان بالله.

أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف الدراسة في الآتي:

1/ بيان أهمية الحوار في الدعوة الى الله.

2/ بيان أهم متطلبات الدعوة الى الله.

3/ بيان الأساليب الدعوية التي اتبعها موسى عليه السلام في دعوته.

منهج الدراسة:

المنهج المستخدم في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي أما مصادر المعلومات فقد شملت القران الكريم وكتب التفسير وكتب الفكر الاسلامي.

تمهيد:

تدور معاني لفظ الحوار أو مشتقاته مما يدل عليه من معاني بين الحسن والتحول والأخذ والرد في الحديث، أو مطلق المخاطبة، وفي كل هذه المعاني جاءت دلالاتها في القرآن الكريم، وقد أورد علماء اللغة أدلة على اتجاه اللفظة إلى الدلالة على هذه المعاني فقال ابن منظور [1] الحوار مأخوذ من الفعل جاء بمعني رجع كما قوله تعالى: {انه ظن أن لن نحور} [2] يعني ظن أن لن يرجع إلى الحياة. [3] وفي ذات السياق ذهب الفيروز أبادي في شرح معاني كلمة حور ومشتقاتها إلى أن (الحور أو المجاورة هي مراجعة النطق ويحاوروا ويراجعوا الكلام بينهم) [4]. والحوار مصطلح حديث وليس من المصطلحات في العلوم الإسلامية وإن ورد لفظه في القرآن الكريم صراحة مثل قوله تعالى {قال له صاحبه وهو يحاوره} [5] وفي قوله تعالى {والله يسمع تحاوركما} [6] وما ورد ضمناً في قصص القرآن الكريم في جدل الأنبياء والرسل لأقوامهم أو دعوتهم له أو محاورة المؤمنين الكافرين في أكثر من موضوع في القرآن، ولقد عرف العلماء الحوار كل حسب مجاله المعرفي، فالبعض يُعرِّف بالحوار بأنه: (مراجعة الكلام ولكن بطريقة مؤدية بألفاظ حسنه فيها نوع من الوّد). [7] ويرى آخرون أنه (نوع من الحديث بين شخصين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر بعيداً عن الخصومة) [8]

كما يرى البعض الحوار من منظور آخر وهو علم الرواية، فيُعرِّف بالحوار بالقول: (هو حديث بين أثنين أو أكثر تتضمنه وحدة في الوضوح والأسلوب) [9]

فيما سبق من تعريفات، ومن الاستقرار لمواضع ورود الحوار في القرآن الكريم، أدي بأن الحوار، هو محادثه بين اثنين أو أكثر من الناس أو الأطراف المتكافئة بغرض الوصول إلى اتفاق بينهم في معنى أو موقف أو صلح. ومن هذا المعنى الذي أوردته فإن كلام الله عز وجل مع ملائكته أو مع إبليس لا يدخل في دائرة الحوار لعدم المكافأة بينهم.

دلالات الحوار في القرآن الكريم:

ورد في لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع وهي قوله تعالى: {فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وولدا. [01]

ويقول الله تعالى: {قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم سواك رجلاً}. [11] ويقول الله تعالى: {قد سمع الله قول التي تجادلكم في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير} [12] فالآيتان الأولي والثانية وردتا في سياق قصة تدور بين مسلم وكافر وهو مثل ضربه الله لمن يغتر بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المؤمنين ففي الآية الأولي يقول {وهو يحاوره} أي يجادله وتخاصمه يفتخر عليه ويترأس [13] ويقول القرطبي {وهو يحاوره} أي يراجعه في الكلام ويجاوبه والمجاورة والمجادلة، والتحاور والتجاوب. [14]

أما صاحب الجلالين فيقول {قال له صاحبه} المؤمن، {وهو يحاوره} أي وهو يفاخره [15] وأما الآية الثانية {قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت} وعظه صاحبه المؤمن وبين له أن ما أعترف به من هذه الأشياء التي لا ينكرها أحد أبدع من الإعادة) [16] ويقول ابن كثير في تفسير الآية مخبراً

عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز.[17]

أما ابن عطية فيقول في تفسيرها {قال له صاحبه وهو يحاوره} أي قال له صاحبه المؤمن من الرجلين لما سمع كلام الكافر وقفه على جهة التوبيخ على كفر الله تعالى، ثم جعل يعظم الله تعالى عنده بأوصاف تضمنت النعم والدلائل على جواز البعث من القبور.[18] ومضمون دلالة الحوار في الآيتين يدور حول المراجعة في الكلام، فالأول حاور مغتر ومترأس، أما الثاني فكان يحاور واعظاً وداعياً إلى الرجوع إلى الله فنجده يدور في حوار المعتقد وهو حوار فكري يخاطب العقل. وأما الآية الثالثة {والله يسمع تحاوركما} مراجعتها الكلام.[91]، فالحوار في هذه الآية يدور حول قضية تشريعية وهي الظهار.

مما سبق من ذكر نجد أن مفهوم دلالات الحوار في القرآن الكريم تدور حول المراجعة في الكلام والمجاوبة ولكن إذا نظرنا إلى موضوعاته نجده ذكر في قضيتين أولاهما العقيدة والدعوة إلى الله في بين مسلم وكافر، أما الثانية فهي في التشريع بين امرأة متهمة مع النبي ﷺ، والقضيتان يمثلان الدين وعليه فإن الدين كله يقوم على الحوار.

ضوابط الحوار في القرآن الكريم:

للحوار هدف يسعى المتحاورون إلى تحقيقه، وللوصول إلى أفضل النتائج لا بد من قواعد وضوابط ينضبط بها المتحاورون ويجب عليهم الالتزام بها وعدم الخروج عنها حتى يكون الحوار صحيحاً ويصل بهم إلى الغاية المرجوة والضوابط هي:

أولاً: تحديد الهدف من الحوار: إن اشتغال القرآن الكريم على هذه الوفرة الغزيرة من القصص يدل على الأهمية الكبيرة للقصة القرآنية وقيمتها في التوجيه، والهداية إلى الحق محققة الأهداف المرسومة لها والحوار الذي تضمنته القصص هو تاريخ لسيرة الدعوة بكل تفاصيلها ومجملها تنشد أخذ العبر من تلك المحاورة مع ملاحظة سمو الأهداف التي ينطوي عليها الحوار في القصص القرآني، وينبغي المحافظة على الهدف أثناء الحوار لأن ذلك يحفظ الوقت والجهد ويعزز احترام الطرف الآخر.

ثانياً: ضرورة العلم بالقضية المطروحة للنقاش: إن من ضوابط الحوار المطلوب الوضوح في طرح الأفكار في موضوع النقاش والتدليل عليه، ولن يتحقق هذا الوضوح إلا بالإحاطة بالموضوع والوقوف على أدلته من النصوص، وإلا فإن الكلام يكون ادعاء لا دليل عليه ولا قيمة له وقد قال تعالى: {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد}[02]، وقوله: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)، كما نهى القرآن ومنع الجدل بغير علم، حيث قال: {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسئولاً}[12]. فالفكرة التي يحملها المحاور تتجسد في شخصه، فليتقنها جيداً حتى لا يسئ لنفسه ويحرجها، فأكثر الناس يرى صواب الفكرة بنجاح صاحبها في عرضها، وبطلانها بعجزه عن الدفاع عنها حتى لو كانت بذاتها صحيحة. فعندما يكون المحاور على علم بما يحاوره تتناسق أفكاره وتنسجم، وتزداد ثقته بنفسه فبطرح ما عنده من أفكار بلا

تـردد. وبهـذا يعتـبر العلـم بالقضيـة المطروحـة ضرورة، لأن جهـل أحـد الطرفـين بهـا يقطـع الحـوار وذهـب الوقـت سـدى، ولا يحصـل المقصـود كـما أن تحديـد محـل النـزاع يعـين المتحاوريـن لعـدم التشـعب الـذي قـد يـؤدي إلى ضيـاع الهـدف.

ثالثـاً: الانطـلاق مـن المتفـق عليـه للمختلـف فيـه: انطـلاق الحـوار مـن نقـاط الاتفـاق بـين المتحاوريـن تكونـه هـي البدايـة الهادفـة التـي تسـمح بإيجـاد جـو مـن التسـامح المشـجع عـلى الحـوار لتكـون منطلقـاً لمناقشـة المختلـف فيـه، وهـذا منهـج القـرآن الكريـم حيـث قـال تعـالى: {ولا تجادلـوا أهـل الكتـاب إلا بالتـي هـي أحسـن}[22] فقـررت الآيـة أن أسـلوب الحـوار يكـون بالتـي هـي أحسـن، فـإن بـدء الحـوار بمواطـن الاتفـاق طريـقُ لكسـب الثقـة وانتشـار التفاهـم ويصـير بـه الحـوار هادئـاً هادفـاً، وبقولـه تعـالى: {قـل يـا أهـل الكتـاب تعالـوا إلى كلمـة سـواء بيننـا}[32]، والحديـث عـن نقـاط الاتفـاق وتقريرهـا يفتـح آفـاق مـن التلاقـي والقبـول والإقبـال ويقلـل الفجـوة مـما يجعـل فـرص النجـاح أفضـل، لـذا عـن بدايـة الحـوار نتجنـب نقـاط الاختـلاف لأنـه يتوقـف الحـوار مـن أولـه، أو ينحـى بـه منحـى التحـدي فتضعـف النفـوس، وتكـون نـصرة الـذات لا بلـوغ الحـق هـو الهـم الأوحـد.

ولـذا نجـد القـرآن عنـد حـوار المخالفـين في المعتقـد يبـدأ بعـرض البديهيـات والمسـلمات والـدأب عـلى تأكيدهـا، والتـي تلزمهـم في النهايـة بالإيمـان بمـا أنكـروه ابتـداءً

رابعـاً: الحريـة الفكريـة وعـدم الإكـراه: لا بـد في الحـوار أن يمتلـك أطرافـه حريـة الحركـة الفكريـة التـي يرافقهـا ثقـةً الفـرد بشـخصيته الفكريـة المسـتقلة، فـلا يسـتحق امـام الآخـر لمـا يجـب فيـه مـن العظمـة والقـوة التـي يملكهـا الآخـر فيتضـاءل ثقتـه بنفسـه وبالتـالي بفكـرة وقابليتـه للحـوار فيتجمـد ويتحـول إلى صـدى للأفـكار التـي يتلقاهـا مـن الآخـر، والقـرآن الكريـم يؤكـد ذلـك في آياتـه فيقـول: {فذكـر إنمـا أنـت مذكـر لسـت عليهـم بمسـيطر}[42]، وبقولـه تعـالى في عـدم إكـراه النـاس عـلى أن يعتنقـوا الإسـلام وإنمـا يعتنقونـه بإرادتهـم واختيارهـم فيقـول: {لا إكـراه في الديـن قـد تبـين الرشـد مـن الغـي}[52]

خامسـاً: سـلامة الـكلام والدليـل مـن التناقـض: وهـو الا يكـون كلام المحـاور ينقـض بعضـه الآخـر أي لا يكـون في الدعـوة أو الدليـل الـذي يقدمـه المحـاور تعـارض، فـإذا كان كذلـك كان كلامـه سـاقطاً بداهـة، ومثـل ذلـك قـول الكافريـن حينـما يـروا الآيـات الباهـرات التـي تتنـزل عـلى الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم يقولـوا (سـحر مسـتمر) في قولـه تعـالى : {وإن يـروا آيـة يقولـوا سـحرٌ مسـتمر}[62] قولهـم فيـه تعـارض ظاهـر لا يسـتحق رداً وذلـك لأن مـن شـأن السـحر ألا يسـتمر، ومـن شـأن الأمـور المسـتمرة ألا تكـون سـحراً، أمـا أن يكـون الـشيء سـحر ومسـتمر معـاً، فذلـك جمـع بـين متضاربـين لا يجتمعـان وأيضـاً قـول فرعـون لسـيدنا مـوسى في قولـه تعالى:{فتـولى بركنـه وقـال سـاحر أو مجنـون}[72] وهـذان أمـران متضـادان ومـن غـير المقبـول منطقيـاً أن يكـون الشـخص الواحـد مـتردد بـين كونـه سـاحر وكونـه مجنـون، وذلـك لأن مـن شـأن السـاحر أن يكـون غايـةً في الـذكاء والدهـاء، وهـذا يتنـافى مـع الجنـون كليـاً أن هـذا الـكلام تهافتـاً ظاهـراً يسـقطه مـن

الاعتبار لدى المجادلة، فهو لا يستحق عليه جواباً فهو بهذا يتهرب من منطق الحق.

سادساً: الرضا بالنتائج وقبولها أو إنهاء الحوار: إن الواجب هو الرضاء والقبول بالنتائج والالتزام بها ما يترتب عليها واذا لم يتحقق هذا كان الحوار ضربا من العبث الذي يتنزه عنه العقلاء فلا بد وان يكون في نهاية الحوار نتائج توصل اليها المتحاوران فينبغي لمن لزمته الحجة فوضحت له أن ينقاد لها بقوله تعالى: {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب}[82] فالمقصود من الجدل طلب الحق واتباع تكاليف الشرع، أما إنهاء الحوار فهو أصعب جزء من الحوار أكثره احتياجا للمهارة ففي بعض الأحيان يجد المحاور نفسه مضطرا إلى وقف الحوار وذلك عندما يتبين له أن قاعدة الحوار وأساسيات النقاش في موضوعها مجهولة أو متباينة أو عدم مناسبة الظروف المحيطة لاستمرار الحوار أو أن الطرف الآخر دون المستوى المطلوب جديةً وعلماً. وقد يبتلى بمحاور لا يجد معه منطق ولا حجة إما لقلة إدراكه أو لعدم اهتمامه أو ليصل في تواه للأمور فحينئذ ينحّي منطق العقل جنباً ويحاور بجنان وعاطفة وأسلوب مهذب في إنهاء الحوار.

ضوابط الحوار في السنة النبوية:

المتأمل لحوارات النبي ﷺ في مسيرة دعوته مع الصحابة رضوان الله عليهم والمشركين والمنافقين يستخلص منها ضوابط للحوار الهادف الذي يؤتي اكله وهي:

أولا: الموضوعية في إدارة الحوار: عدم اتباع انصرافيات الخصم وعدم الخروج عن الموضوع الذي هو محل النقاش والنزاع حتى يستقيم الحوار وتتضح الحقائق ونتوصل الى النتائج المرجوة وامثلة ذلك من السنة كثيرة فمن تتبع حوارات النبي ﷺ يجد التزامه بموضوعية الحوار وقوة حجته فيه ويروى ان السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا السأم عليكم، ففهمتها فقلت: عليكم السأم واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الامر كله، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال ﷺ: فقد قلت وعليكم) [92] ، ومن الموضوعية التسليم بالحق والاعتراف به دون الخوض في فروع اخرى، ومنها ما رواه أنس بن مالكﷺ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَجَبْتُكَ». فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ» قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ» قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي،

وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ[03] فالمتأمل لهذا الحوار يجد النبي ﷺ سمع الرجل وأجابه عن كل ما يريد، وكانت إجابته ﷺ واضحة جلية موضوعية فلم يخرج عن موضوع السؤال فكان هذا الحوار الهادئ الموضوعي سبب ايمان هذا الرجل وايمان من ورائه من قومه.

ثانياً: الوضوح والالتزام بالأدلة في الحوار: يجب على كل متحاور ان يقدم الدليل الذي يؤيد آراءهم أو دعواه والبرهان على دعواهم، فقرر لنا الاسلام قاعدة لا توجد في غيره هي أنه لا يقبل من أحد قولاً لا دليل عليه ولا يحكم بدعوى ينتحها بغير برهان يؤيدها وفي الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ واليهود حول الحكم المحصنين الزاني، طالبهم بالدليل على صدق دعواهم. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ان اليهود جاءوا الي رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم) فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم، فقالوا صدق يا محمد، فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ ورجما)، ففي هذا الحوار طالبهم الرسول ﷺ بالدليل من التوراة على حكم الزنا للمحصن، فالمحاور الجيد هو الذي يختار الادلة القوية لان ايراد الادلة الضعيفة ولو كشواهد مع الادلة القوية قد تؤدي بالحوار الى متاهات وجدل لا ينتهي، ان الاكتفاء بدليل واحد صحيح خير من سوق عشرات الادلة الواهية، هذه بعض من الضوابط في سنة رسولنا الكريم يجب على المحاور المسلم أن يحسن استخدامها حتى يكون حواره مثمرا وناجحاً.

أهداف الحوار:

المتأمل للحوار في قصص القرآن الكريم يجده يمتاز بسمو معانيه وعلو مقاصده وجمال أُسلوبه وتكتمل صورة الحوار عندما تتعرف على أهدافه التي من أجلها يجرى الحوار.

أولاً: الدعوة إلى الله تعالى في كل الحوارات يعتبر أهم الأهداف للدعوة لله تعالى وعدم الإشراك به وشرح عقائدهـ كما في دعوة نوح وهود وصالح وكل الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً عند محاورتهم أقوامهم.

ثانياً: إقامة الحجة ودفع الشبهة وفساد القول والرأي فهذا تعاون بين الناس وربهم لمعرفة الحقيقة والتوصل إليها ليكشف كل الطرق ما خفي على صاحبه منها، ويتضح ذلك جلياً في مناظرة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود قوله تعالى: (إنَّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر).

ثالثاً: تثبيت النبي عليه الصلاة والسلام ومؤازرته بالقصص القرآني المبني على الحوار كوسيلة دعوية فعالة وأداة تبعث على تنشيط الفكر قوله تعالى: (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما ثبتنا به فؤادك وجاءك في هذا الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين).

رابعاً: الدعوة إلى الله مع الإصلاح الاجتماعي كالدعوة إلى إقامة العدل والبيع والشراء ونجدها في دعوة شعيب عليه السلام لقومه، ودعا لوطٌ عليه السلام قومه لترك الفاحشة.

خامساً: العفو والصفح: يتضح ذلك في قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع إخوته بعد أن نزغ بينهم الشيطان وعند ظهور الحقيقة عفا عنهم وطلب لهم المغفرة، قوله تعالى: (قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

سادساً: إظهار الحق والفصل فيه وهذه من الأهداف المهمة وتتجلى في قصة بقرة بني إسرائيل عند محاورة سيدنا موسى عليه السلام مع قومه لما أمرهم بذبح البقرة، وأيضاً في خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها مع نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام في قضية الظهار.

هذه هي الأهداف الجلية الأصلية، وثمة أهداف فرعية أو ممهدة للأصلية منها:

1/ التعرف على وجهات النظر الأخرى وهو هدف تمهيدي هام.

2/ إيجاد حل وسط يرضي الطرفين.

3/ البحث والتنقيب من أجل الاستقصاء أو الاستقراء في تنوع الرؤى والتصورات المتاحة من أجل الوصول إلى نتائج أفضل ولو في حوارات تالية.

مما سبق لا بد لأي حوار أن يكون متجهاً نحو هدف معين، ويسعى المتحاورون إلى الوصول إليه وتحقيقه، ولا يبتعدوا عن هدفهم، فالبعد عن الهدف يبعدهم عن الغاية المنشودة وبذلك حوارهم يكون جدل عقيم لا طائل من ورائه ولا يثري ولا يظهر معه الحق.

أصول وآداب الحوار:

إذا أردنا أن يكون الحوار ناجحاً وبعيداً عن الفوضى والمهاترة، فلا بد أن يرتبط بمجموعة من الآداب الفاضلة والأخلاق النبيلة حتى يبقى الفكر متقداً، والعطاء موصولاً، وفيما يلي هذه الآداب:

أولاً: الهدف من المحاورة: أن يكون الحوار قائماً بينهم على الصدق وتحري الحقيقة بعيداً عن الكذب والأوهام ويظهر ذلك جلياً عندما سأل فرعون موسى عليه السلام: (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)، فكان موسى صادقاً لم يغير الحقائق فلأخبره بها، فعند الحوار لا بد من احترام الحقيقة والقيام بمسؤولية الكلمة فالحوار الهادف هو الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر، أما اللجوء إلى الغموض والمراوغة فإنه قلة في الإخلاص وضعف يؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين، فهذا هودٌ عليه السلام يصدق قومه: (أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين).

ثانياً: الاحترام المتبادل بين المتحاورين: لتحقيق أفضل النتائج من حواراتنا لا بد من احترام كل من الطرفين للآخر لأن الخلاف لا يبرر للتخلي عن الأخلاق الفاضلة، فنجد القرآن الكريم يأمرنا حتى في حالة جدالنا لمن يخالفنا في الدين أن يكون ذلك بالحسنى قوله: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن...)، وكذلك قوله: (وجادلهم بالتي هي أحسن)، فعلى المحاور احترام الطرف الآخر مسلماً كان أو غير ذلك فيمنحه حقه من التوقير والتقدير، وكذا كان الأنبياء في حواراتهم مع أقوامهم.

ومن مظاهرها اهتمام المحاور بالآخر اهتماماً ودياً سواءً بالانتباه لكلامه أو الإصغاء إليه، أو البقاء ناظراً إليه، وعدم اللجوء إلى تجاهله والشرود والانشغال عنه بشخصٍ آخر. ويجب تحاشي تحقيره أو اللجوء إلى النقد الشخصي، وتجنب استخدام اليد دفعاً أو ضغطاً أو تهديداً. إذاً يبدأ أدب الحوار باحترام آدمية الآخر وإنسانيته، باحترام أفكاره وعدم السخرية منها.

ثالثاً: سلامة اللغة ولين الكلام وحسنه: الكلام صفة للمتكلم وبقدر ما كان محتوياً شروطه الموضوعية والأخلاقية بقدر ما يبلغ هدفه وينجح في التأثير في الآخرين، فالكلام نظام لغوي مكتسب، فكلما كان المحاور أكثر دراية ومهارة في استخدامه كلما كان أكثر فاعلية في حواره، وعلى المحاور استخدام أسلوب اللين مع خصمه أثناء الحوار ويسلك الأسلوب الأسهل بعيداً عن التشدد، وأشار القرآن الكريم إلى أن الأنبياء كانوا على درجة عالية من البلاغة وحسن القول ولين الكلام في حواراتهم مع أقوامهم كما ويشير القرآن الكريم إلى أهمية الفصاحة والبيان، فطلب موسى عليه السلام من ربه أن يرسل معه هارون أخيه لأنه أفصح لساناً منه، قوله:(وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي)، كما دعا الله ليعينه على إفهام الناس: (قل ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)، كما وأرشدهم الله إلى كيفية دعوة فرعون (وقولا له قولاً ليناً).

رابعاً: التدرج والبدء بالأهم: التدرج وترتيب الموضوعات في الحوار ومعرفة الأهم فالأهم، وتحديده بوضوح يسهل كثير في مهمة المحاور كما يتضح لنا ذلك في بدء الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم بأهم قضية وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له فكان كل نبي يدعو قومه بقوله: (أعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، قالها نوحُ عليه السلام وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وكذلك يوسف عليه السلام عندما سأله صاحبا السجن لتأويل الرؤيا فكان جوابه: (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، فبدأ عليه السلام بالقضية الأهم وهي الأمر بتوحيد الله وعبادته ويتدرج معهم فيها خطوة بخطوة يعرضها بموضوعية فبدأ بسؤال مجرد يهز به فطرتهم ويقظها: (أرباب متفرقون أم الله). وجوابه بلا شك أن الواحد القهار خيرٌ، ثم يخطو أخرى في مواجهة عقائد الجاهلية وأوهامها (ما تعبدون من دون الله إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان)، فتلك الآلهة لا دليل على عبادتها فلم يجعل الله لها سلطان، ثم يوجه عليه السلام حجته الحاسمة (أن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم)، فقرر أخيراً أن الدين الصحيح هو الذي لا يعبد فيه إلا الله، فبالجملة فإن عدم مراعاة الترتيب والتدرج في العلم والحوار والنقاش والدعوة يبعثر الجهد ويفقد التركيز.

أساليب الدعوة في حوار سيدنا موسى مع قومه:

إن لتكرار الأسماء والمعاني في القرآن الكريم دلالةً يلاحظها المتدبر لها، ومن ذلك إكثار القرآن الكريم لذكر قوم موسى ومواقفهم المختلفة من دين الله تعالى ودعوة نبيهم موسى لهم.

وإن ذكر موسى في القرآن الكريم هو الأكثر على الإطلاق، فقد ورد اسم «موسى» أكثر من مائة وعشرين مرةً، وجاءت قصته في القرآن الكريم في محطات أبرزها؛ نشأته وخروجه من قومه، ولقائه نبي الله «شعيب» وزواجه من ابنته، ولقاءه ربَّه في الوادي المقدس طوى، ورجوعه إلى قومه داعياً، وصراعه لأعتى صور البشرية تجبراً وهو فرعون وجنده، وهجرته مع المؤمنين من قومه، وذهابه للقاء ربه مرة أخرى، وافتتان قومه من بعده باتخاذهم «العجل» وجدالهم هارون ومواقف وقصص من حياته الدعوية كقصة «البقرة» التي سميت عليها أطول سور القرآن الكريم، ورحلته في طلب العلم مع الرجل الصالح «الخضر» في سورة «الكهف». وقد أورد القرآن الكريم خبر قوم موسى مفصلاً في كثير من سوره، فقد فصَّلت في خبره طويلاً سور «البقرة» و«الأعراف» و«يونس» و«الكهف» وطه» و«الشعراء» و«القصص» و«غافر». ووردت شذرات من خبره في كثير من السور غيرها.

ومن أجمل ما جاء في قصة موسى مع قومه:

قال تعالى: {ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها} [31] قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي: وذلك نصف النهار، وعن ابن عباس: بين العشاءين. {فوجد فيها رجلين يقتتلان} أي يتضاربان ويتهاوشان، {هذا من شيعته}؛ أي إسرائيلي {وهذا من عدوه} أي قبطي. {فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه}؛ وذلك لأن موسى كانت له بديار مصر صولة بسبب نسبته إلى تبني فرعون له وتربيته في بيته وكانت بنو إسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاهةً وارتفعت رؤوسهم بسبب أنهم أرضعوه وهم أخواله من الرضاعة فلما استغاث ذلك الإسرائيلي موسى على ذلك القبطي أقبل إليه موسى فوكزه قال مجاهد: أي طعنه بجمع كفه وقال قتادة: بعصاً كانت معه. {فقضى عليه}؛ أي فمات منها. وقد كان ذلك القبطي كافراً مشركاً بالله العظيم ولم يرد موسى قتله وإنما أراد زجره وردعه مع هذا قال موسى: {قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم} {قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين}[32]

{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ}{فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ}[33] يخبر تعالى أن موسى أصبح بمدينة مصر خائفاً - أي من فرعون وجماعته - أن يعلموا أن هذا القتيل الذي رفع إليه أمره إنما قتله موسى في نصرة رجل من بني إسرائيل فتقوى ظنونهم أن موسى منهم ويترتب على ذلك أمر عظيم فصار يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم چ خائفاً يترقَّب چ أي يلتفت فبينما هو كذلك إذا ذلك الرجل الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستصرخه أي يصرخ به ويستغيثه على آخر قد قاتله فعنفه موسى ولامه على كثرة شره ومخاصمته قال له {إنك لغويٌ مبين} ثم أراد أن

يبطش بذلك القبطي الذي هو عدوٌ لموسى وللإسرائيلي فيردعه عنه ويخلصه منه فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطي {قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد الا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين} قال بعضهم إنما قال هذا الكلام الإسرائيلي الذي اطلع على ما كان صنع موسى بالأمس وكأنه لما رأى موسى مقبلاً إلى القبطي اعتقد أنه جاء إليه لما عنفه قبل ذلك بقوله إنك لغوي مبين فقال ما قال لموسى وأظهر الأمر الذي كان وقع بالأمس فذهب القبطي فاستعدى موسى إلى فرعون. وهذا الذي لم يذكر كثير من الناس سواه. ويحتمل أن قائل هذا هو القبطي وأنه لما رآه مقبلاً إليه خافه ورأى من سجيته انتصاراً للإسرائيلي فقال ما قال من باب الظن والفراسة إن هذا لعله قاتل ذاك القتيل بالأمس أو لعله فهم من كلام الإسرائيلي حين استصرخه عليه ما دله على هذا والله أعلم. والمقصود أن فرعون بلغه أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس فأرسل في طلبه وسبقهم رجل ناصح عن طريق أقرب {وجاء رجل من أقصى المدينة} ساعياً إليه مشفقاً عليه فقال {يا موسى إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك} فاخرج من هذه البلدة {إني لك من الناصحين} أي فيما أقوله لك قال الله تعالى: {فخرج منها خائفاً يترقب} أي فخرج من مدينة مصر من فوره على وجهه لا يهتدي إلى طريق ولا يعرفه قائلا {رب نجني من القوم الظالمين}.

قال تعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ}{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ}{فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}.[34] يخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليمه من مصر خائفاً يترقب أي يتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري أين يتوجه ولا إلى أين يذهب وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها { ولما توجه تلقاء مدين} أي اتجه له طريق يذهب فيه { قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل}. أي عسى أن تكون هذه الطريق موصلة إلى المقصود. {ولمَّا ورد ماء مدين} وكانت بئراً يستقون منها. ومدين هي المدينة التي أهلك الله فيها أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى في أحد قول العلماء. ولمَّا ورد الماء المذكور {وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان} أي تكفكفان عنهما غنمهما أن تختلط بغنم الناس. وعند أهل الكتاب أنهن كن سبع بنات. وهذا أيضا من الغلط وكأنه كن سبعا ولكن إنما كان تسقى اثنتان منهن. وهذا الجمع ممكن إن كان ذاك محفوظاً وإلا فالظاهر أنه لم يكن له سوى بنتان {قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير} أي لا نقدر على ورود الماء إلا بعد صدور الرعاء لضعفنا وسبب مباشرتنا هذه الرعية ضعف أبينا وكبره قال الله تعالى: {فسقى لهما} قال المفسرون وذلك أن الرعاء كانوا إذا فرغوا من وردهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة فتأتي هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما في فضل أغنام الناس فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده. ثم استقى لهما وسقى غنمهما ثم رد الحجر كما كان ثم تولى إلى الظل وقال رب إني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس: سار من مصر

إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً فسقطت نعلا قدميه من الحفاء. وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه لاصقٌ بظهره من الجوع وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وأنه لمحتاج إلى شق تمرة. قال عطاء بن السائب لمَّا قال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير اسمع تلك المرأة قال تعالى:{فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}{قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ}[35] فلما جلس موسى في الظل و{قال رب إني لما أنزلت الي من خير فقير} سمعته المرأتان فيما قاله فذهبتا إلى ابيهما فيقال إنه استنكر سرعة رجوعهما فأخبرتاه ما كان من أمر موسى فأمر إحداهن أن تذهب إليه فتدعوه فجاءته تمشي على استحياء أي مشي الحرائر قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا. صرحت له بهذا لئلا يتوهم كلامها ريبة. وهذا من تمام حيائها وصيانتها، فلما جاءه وقص عليه القصص وأخبره خبره وما كان من أمره في خروجه من بلاد مصر فراراً من فرعونها قال له ذلك الشيخ لا تخف نجوت من القوم الظالمين أي خرجت من سلطاتهم فلست في دولتهم. وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو فقيل هو شعيب. وهذا هو المشهور عند كثيرين وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس. وجاء مصرحاً به في حديث ولكن في إسناده نظر وصرح طائفة بأن شعيباً عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته والمقصود أنه لما ضيفه وأكرم مثواه وقص عليه ما كان من أمره بشره بأنه قد نجا فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها: يا أبت استأجره أي استأجره لرعي غنمك ثم مدحته بأنه قوي أمين. قال في ذلك ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة: صاحب يوسف حين قال لامرأته: أكرمي مثواه، وصاحبة موسى حين قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب. هنا قال له الرجل إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين. وقد استدل بهذا جماعة من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على صحة ما إذا باعه أحد هذين العبدين أو الثوبين ونحو ذلك أنه يصح لقوله: إحدى ابنتي هاتين، وفي هذا نظر لأن هذه مراوضة لا معاقدة والله أعلم. ثم قال تعالى: {ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل}. ويقال إن موسى قال لصهره: الأمر على ما قلت فأيهما قضيت فلا عدوان عليّ والله على مقالتنا سامع ومشاهد ووكيل عليّ وعليك ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكمل الاجلين وأتمهما وهو العشرة سنين كاملة تامة.

يذكر الله تعالى ما كان في حوار موسى عليه السلام مع فرعون من الأدب والمقاولة والمحاجاة والمناظرة وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقيلة المعنوية ثم الحسية. وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى. وزعم أنه الإله {فحشر فنادى

فقال أنا ربكم الأعلى}[36] وقال يا أيها الملأ {ما علمت لكم من إله غيري}[37] وهو في هذه المقالة معاندُ يعلم أنه عبد مربوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الاله الحق كما قال تعالى:{وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كانت عاقبة المفسدين}[38] ، ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الانكار لرسالته والاظهار أنه ما ثمة ربُ أرسله لانهما قالا له: {إنا رسول رب العالمين}[39] فكأنه يقول لهما ومن رب العالمين الذي تزعمان أنه أرسلكما وبعثكما فأجابه موسى قائلاً {رب السموات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين}[40] يعني رب العالمين خالق هذه السموات والارض المشاهدة وما بينهما من المخلوقات المتعددة من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق. وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين. وقال فرعون لمن حوله من أمراءه ووزرائه على سبيل التهكم والتنقص لما قرره موسى عليه السلام ألا تسمعون يعني كلامه هذا قال موسى مخاطباً له ولهم {ربكم ورب آباءِكم الأولين}[41] أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والاجداد والقرون السالفة فإن كل أحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث وإنما أوجده وخلقه رب العالمين. وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى:{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}[42] ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا نزع عن ضلالته بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه. {قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون}[43] أي هو المسخر لهذه الكواكب الزاهرة والمسير للأفلاك الدائرة وخالق الظلام والضياء ورب الارض والسماء رب الاولين والآخرين خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الحائرة خالق الليل بظلامه والنهار بضيائه والكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سائرون وفلك يسبحون يتعاقبون في سائر الاوقات ويدورون فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء. فلما قامت الحجج على فرعون وانقطعت شبهه ولم يبق له قول سوى العناد عدل إلى استعمال سلطانه وجاهه وسطوته {قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين} {قال أولو جئتك بشيء مبين} {قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين}[44] وهذان هما البرهانان اللذان أيده الله بهما وهما العصا واليد. وذلك مقام أظهر فيه الخارق العظيم الذي بهر به العقول والابصار حين ألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. أي عظيم الشكل بديع في الضخامة والهول والمنظر العظيم الفظيع الباهر حتى قيل إن فرعون لما شاهد ذلك وعاينه أخذه رهب شديد وخوف عظيم بحيث إنه حصل له إسهال عظيم أكثر من أربعين مرة في يوم وكان قبل ذلك لا يتبرز في كل أربعين يوما إلا مرة واحدة فانعكس عليه الحال. وهكذا لما أدخل موسى عليه السلام يده في جيبه واستخرجها أخرجها وهي كفلقة القمر تتلألأ نوراً يبهر الأبصار فإذا أعادها إلى جيبه واستخرجها رجعت إلى صفتها الاولى. ومع هذا كله لم ينتفع فرعون بشيء من ذلك بل استمر على ما هو عليه، وأظهر أن هذا كله سحر، وأراد معارضته بالسحرة، فأرسل يجمعهم من سائر مملكته ومن هم في رعيته وتحت قهره

ودولته، كما سيأتي بسطه وبيانه في موضعه، من إظهار الله الحق المبين والحجة الباهرة القاطعة على فرعون وملائه، وأهل دولته وملته، ولله الحمد والمنة.

يقول فرعون لموسى: فإذا كان ربك هو الخالق المقدر الهادي الخلائق لما قدره، وهو بهذه المثابة من أنه لا يستحق العبادة سواه، فلم عبد الاولون غيره وأشركوا به من الكواكب والانداد، ما قد علمت فهلا اهتدى إلى ما ذكرته القرون الاولى{قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى}[44] أي هم وإن عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك ولا يدل على خلاف ما أقول لانهم جهلة مثلك، كل شيء فعلوه مستطر عليهم في الزبر، من صغير وكبير، وسيجزيهم على ذلك ربي عز وجل ولا يظلم أحدا مثقال ذرة، لان جميع أفعال العباد مكتوبة عنده في كتاب لا يضل عنه شيء ولا ينسى ربي شيئا. ثم ذكر له عظمة الرب وقدرته على خلق الاشياء وجعله الارض مهاداً والسماء سقفا محفوظا وتسخيره السحاب والامطار لرزق العباد ودوابهم وأنعامهم كما قال: {كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى}[45] أي لذوي العقول الصحيحة المستقيمة والفطرة القويمة غير السقيمة فهو تعالى الخالق الرازق.

ويخبر الله تعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله وقلة عقله في تكذيبه بآيات الله واستكباره عن إتباعها وقوله لموسى إن هذا الذي جئت به سحر ونحن نعارضك بمثله ثم طلب من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم ومكان معلوم وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهرة بحضرة الناس ولهذا قال {موعدكم يوم الزينة} وكان يوم عيد من أعيادهم ومجتمع لهم {وإن يحشر الناس ضحى } أي من أول النهار في وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق أظهر وأجلى ولم يطلب أن يكون ذلك ليلا في ظلام كيما يروج عليهم محالا وباطلا بل طلب أن يكون نهارا جهرة لأنه على بصيرة من ربه ويقين أن الله سيظهر كلمته ودينه وإن رغمت أنوف القبط.

قال الله تعالى: {قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيلَكُم لَا تَفتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبا فَيُسحِتَكُم بِعَذَاب وَقَد خَابَ مَنِ ٱفتَرَى}[46] يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان ببلاده من السحرة وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوءة سحرةً ماهرين في فنهم فجمعوا له من كل بلد ومن كل مكان فاجتمع منهم خلق كثير وجمع غفير، وحضر فرعون وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم. وذلك أن فرعون نادى فيهم أن يحضروا هذا الموقف العظيم فخرجوا وهم يقولون: {لعلَّنا نتَّبِعُ السحرة إن كانوا هم الغالبين} [47]، وتقدم موسى عليه السلام إلى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه فقال {ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى} فتنازعوا أمرهم بينهم قيل معناه: أنهم اختلفوا فيما بينهم، فقائل يقول: هذا كلام نبي وليس بساحر، وقائل منهم يقول: بل هو ساحر فالله أعلم. وأسروا التناجي بهذا وغيره {قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما}، يقولون إن هذا وأخاه هرون ساحران عليمان مطبقان متقنان لهذه الصناعة ومرادهم أن يجتمع الناس عليهما ويصولا على الملك وحاشيته ويستأصلاكم عن آخركم ويستأمرا عليكم بهذه الصناعة

فأجمِعوا كيدكم ثم اتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى وإنما قالوا الكلام الاول ليتدبروا ويتواصوا ويأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبهتان. وهيهات كذبت والله الظنون واخطأت الآراء. أنى يعارض البهتان والسحر والهذيان خوارق العادات التي أجراها الديان على يدي عبده الكليم. ورسوله الكريم المؤيد بالبرهان الذي يبهر الابصار وتحار فيه العقول والاذهان وقولهم: فأجمعوا كيدكم أي جميع ما عندكم ثم اتوا صفاً أي جملة واحدة ثم حضوا بعضهم بعضا على التقدم في هذا المقام لأن فرعون كان قد وعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

لما اصطف السحرة، ووقف موسى وهرون عليهما السلام تجاههم قالوا له: إما أن تلقي قبلنا، وإما أن نلقي قبلك چ قال بل القوا چ أنتم وكانوا قد عمدوا إلى حبال وعصي فأودعوها الزئبق وغيره من الآلات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطرابا يخيل للرائي أنها تسعى باختيارها وإنما تتحرك بسبب ذلك. فعند ذلك سحروا أعين الناس واسترهبوهم وألقوا حبالهم وعصيهم وهم يقولون: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون.

قال الله تعالى: {فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم}[48] وقال تعالى: { فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى} فأوجس في نفسه خيفة موسى أي خاف على الناس أن يفتتنوا بسحرهم ومحالهم قبل أن يلقي ما في يده فإنه لا يضع شيئا قبل أن يؤمر فأوحى الله إليه في الساعة الراهنة چ لا تخف إنك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى چ فعند ذلك ألقى موسى عصاه وقال: {ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون }[49] وذلك أن موسى عليه السلام لما ألقاها صارت حية عظيمة ذات قوائم، فيما ذكره غير واحد من علماء السلف، وعنق عظيم وشكل هائل مزعج بحيث إن الناس انحازوا منها وهربوا سراعا وتأخروا عن مكانها وأقبلت هي على ما ألقوه من الحبال والعصي فجعلت تلقفه واحدا واحدا في أسرع ما يكون من الحركة والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها. وأما السحرة فإنهم رأوا ما هالهم وحيرهم في أمرهم واطلعوا على أمر لم يكن في خلدهم ولا بالهم ولا يدخل تحت صناعاتهم وأشغالهم.

فعند ذلك وهنالك تحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا محال ولا خيال ولا زور ولا بهتان ولا ضلال بل حق لا يقدر عليه إلا الحق الذي ابتعث هذا المؤيد به بالحق وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة، وأنارها بما خلق فيها من الهدى وأزاح عنها القسوة، وأنابوا إلى ربهم وخروا له ساجدين، وقالوا جهرة للحاضرين ولم يخشوا عقوبة ولا بلوى: وقالوا {آمنا برب موسى وهرون} فلمَّا سجد السحرة رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة تهيأ لهم وتزخرف لقدومهم ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون وتهديده ووعيده. وذلك لان فرعون لما رأى هؤلاء السحرة قد أسلموا وأشهروا ذكر موسى وهرون في الناس على هذه الصفة الجميلة، أفزعه ذلك، ورأى أمراً بهره، وأعمى بصيرته وبصره، وكان فيه كيد ومكر وخداع، وصنعة بليغة في الصد عن سبيل الله، فقال

مخاطباً للسحرة بحضرة الناس: آمنتم له قبل أن آذن لكم أي هلا شاورتموني فيما صنعتم من الامر الفظيع بحضرة رعيتي ثم تهدد وتوعد وأبرق وأرعد وكذب فأبعد قائلاً: {إنه لكبيركم الذي علمكم السحر} وقال في الآية الاخرى {إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون}. وهذا الذي قاله من البهتان الذي يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر والكذب والهذيان بل لا يروج مثله على الصبيان فإن الناس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أن موسى لم يره هؤلاء يوما من الدهر فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر. ثم هو لم يجمعهم ولا علم باجتماعهم حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم واجتباهم من كل فج عميق وواد سحيق ومن حواضر بلاد مصر والاطراف ومن المدن والارياف. ولما وقع ما وقع من الامر العظيم وهو الغلب الذي غلبته القبط في ذلك الموقف الهائل وأسلم السحرة الذين استنصروا ربهم لم يزدهم ذلك إلا كفرا وعنادا وبعدا عن الحق. ويخبر تعالى عن الملأ من قوم فرعون وهم الامراء والكبراء في سورة الأعراف أنهم حرضوا ملكهم فرعون على أذية نبي الله موسى عليه السلام ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والاذى قالوا: {أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك} يعنون - قبحهم الله - أن دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة ما سواه فساد بالنسبة إلى اعتقاد القبط لعنهم الله. وقرأ بعضهم {ويذرك وآلهتك} أي وعبادتك ويحتمل شيئين أحدهما ويذر دينك. الثاني ويذر أن يعبدك فإنه كان يزعم أنه إله لعنه الله. {قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم} أي لئلا يكثر مقاتلتهم {وإنا فوقهم قاهرون} أي غالبون {وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين} أي إذا هموا هم بأذيتكم والفتك بكم فاستعينوا أنتم بربكم واصبروا على بليتكم {إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين} أي فكونوا أنتم المتقين لتكون لكم العاقبة.

قال تعالى: {قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون[50]

وقال الله تعالى في سورة غافر {فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال}[51] وهذا القتل للغلمان من بعد بعثة موسى إنما كان على وجه الاهانة والاذلال، والتقليل لملا بني إسرائيل، لئلا يكون لهم شوكة يمتنعون بها، ويصولون على القبط بسببها وكانت القبط منهم يحذرون، فلم ينفعهم ذلك ولم يرد عنهم قدر الذي يقول للشيء كن فيكون {وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد}[52] . ولهذا يقول الناس على سبيل التهكم: صار فرعون مذكرا، وهذا منه، فإن فرعون في زعمه يخاف على الناس أن يضلهم موسى عليه السلام. {وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب} أي عذت بالله ولجأت إليه واستجرت بجنابه أن يسطو فرعون وغيره علي بسوء وقوله مِنْ كل متكبرٍ أي جبار عنيد لا يرعوي ولا ينتهي ولا يخاف عذاب الله وعقابه لأنه لا يعتقد معادا ولا جزاء. ولهذا قال: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}{يَا

قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ}[53] وهذا الرجل هو ابن عم فرعون وكان يكتم إيمانه من قومه خوفا منهم على نفسه. وزعم بعض الناس أنه كان إسرائيلياً وهو بعيد ومخالف لسياق الكلام لفظا ومعنى والله أعلم. قال ابن جريج قال ابن عباس لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا والذي جاء من أقصى المدينة وامرأة فرعون. قال: { أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله} أي من أجل أنه قال ربي الله فمثل هذا لا يقابل بهذا بل بالإكرام والاحترام والموادعة وترك الانتقام يعني لأنه قد جاءكم بالبينات من ربكم أي بالخوارق التي دلت على صدقه، فيما جاء به عمن أرسله، فهذا إن وادعتموه كنتم في سلامة لأنه إن يكن كاذبا فعليه كذبه ولا يضركم ذلك وإن يكن صادقا وقد تعرضتم له يصبكم بعض الذي يعدكم أي وأنتم تشفقون أن ينالكم أيسر جزاء مما يتوعدكم به فكيف بكم إن حل جميعه عليكم. وهذا الكلام في هذا المقام من أعلى مقامات التلطف والاحتراز والعقل التام. وقوله {يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض} يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز فإنه من تعرض الدول للدين إلا سلبوا ملكهم وذلوا بعد عزهم وكذا وقع لآل فرعون ما زالوا في شك وريب، ومخالفة ومعاندة لما جاءهم موسى به حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والاملاك والدور والقصور، والنعمة والحبور، ثم حولوا إلى البحر مهانين، ونقلت أرواحهم بعد العلو والرفعة إلى أسفل السافلين. ولهذا قال هذا الرجل المؤمن المصدق، البار الراشد التابع للحق، الناصح لقومه الكامل العقل: يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض أي عالين على الناس حاكمين عليهم فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا أي لو كنتم أضعاف ما أنتم فيه من العدد والعدة والقوة والشدة لما نفعنا ذلك ولا رد عنا بأس مالك الممالك.

كان موسى يدعو قومه إلى عبادة رب السموات والارض الذي يقول للشيء كن فيكون وهم يدعونه إلى عبادة فرعون الجاهل الضال الملعون، ولهذا قال لهم على سبيل الانكار فيقول {ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار} ثم بين لهم بطلان ما هم عليه من عبادة ما سوى الله من الانداد والاوثان وأنها لا تملك من نفع ولا إضرار فقال: {لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار}أي لا تملك تصرفاً ولا حكماً في هذه الدار فكيف تملكه يوم القرار. وأما الله تعالى فإنه الخالق الرازق للأبرار والفجار وهو الذي أحيا العباد ويميتهم ويبعثهم فيدخل طائعهم الجنة وعاصيهم إلى النار. ثم توعدهم إن هم استمروا على العناد بقوله: {فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد} قال الله: {فوقاه الله سيئات ما مكروا} أي بإنكاره سلم مما أصابهم من العقوبة على كفرهم بالله ومكرهم في صدهم عن سبيل الله مما أظهروا للعامة من الخيالات والمحالات التي لبسوا بها على عوامهم ولهذا قال: وحاق؛ أي أحاط بآل فرعون سوء العذاب {النار يعرضون عليها غدواً وعشياً}؛ أي تعرض أرواحهم في برزخهم صباحاً ومساءً على النار، {ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب}.

ومواقف الحوار في قصة موسى متعددة، فمنها حواره مع الرجل من قومه، وحواره مع نبي الله شعيب، وحواره مع فرعون، وحواره مع السحرة، وحواره مع قومه من بعد الهجرة من مصر فراراً من فرعون.

ونلتمس من حوارات موسى مع قومه أمور تشكِّل أسساً للحوار الهادف والداعي للنفع لا لمجرد الانتصار للنفس وما سوى ذلك مما لا ينفع الناس بل يذهب بالخير عنهم ولا يؤسس لشيء. ومن تلك الأمور:

أولاً: إن القضية الجوهرية والمركزية لذلك الحوار هو دفع الظلم والقهر عن الناس وتثبيت حقوق البشر في الحياة، ولذلك كانت الدعوة الأولى لموسى في أول لقاء له بفرعون بعد هروبه أن قال له في سورة طه: { فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} وقال في سورة غافر: {وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد} وقال القرطبي ومعنى ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾: أَيْ خَلِّهِمْ. وَكَانَ يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ. وهكذا يجب أن يستند الحوار المجتمعي على قضية جوهرية قوية مؤثرة في حياة الناس واستقرارهم وإنتاجهم في الحياة، وليس أعظم من مجابهة الطغيان مرتكزاً للحوار إن وُجد في واقعهم من أي جهةٍ كانت سياسيةً أو اجتماعيةً أو خدمية. وقد جعل الله تعالى هذه القضية «دفع الظلم والعدوان» من قضايا الإيمان التي ينشأ الأنبياء والرسل عليه، فنلاحظ أن موسى ناصر المستضعفين قبل مواجهة فرعون بدعوته، فيما قصه القرآن من أمره مع الذي من عدوه والذي من شيعته.

ونستطيع بوضوح ملاحظة طرح القضايا الإنسانية الملحة في حياة البشر من خلال حوارات الرسل مع أقوامهم بصدد تبليغ دعوة الحق التي تستند إلى الخير للإنسانية في تلك القضايا.

ثانياً: الطرح المؤيد بالبرهان المقبول بالطبيعة البشرية، والخالي من التكلُّف والانصراف إلى غير الدعوة. فقد سأل فرعون موسى عن ربه، فقال: {من ربكما يا موسى} فعرَّف به موسى مشيراً إلى آثاره التي لا تستطيع المدارك التغافل عنها، قال: {الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل لكم من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى} [45].

ثالثاً: استخدام مهارات التواصل في الحوار وصولاً لقبول الدعوة والانفعال بها عن قناعة وتبني تلك الدعوة. فمن ذلك إرشاد الله ﷻ لموسى وهرون عيهما السلام، إذ قال تعالى:{فقولا له قولاً ليناً}هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا عِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهُوَ أَنَّ فِرْعَوْنَ فِي غَايَةِ الْعُتُوِّ وَالِاسْتِكْبَارِ وَمُوسَى صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ إذ ذاك، ومع هذا أمر أن لا يُخَاطِبَ فِرْعَوْنَ إِلَّا بِالْمُلَاطَفَةِ وَاللِّينِ وأَنَّ دَعْوَتَهُمَا لَهُ تَكُونُ بِكَلَامٍ رقيق لين سهل رقيق، لِيَكُونَ أَوْقَعَ فِي النُّفُوسِ وَأَبْلَغَ وَأَنْجَعَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[55]

أما حوار موسى مع قومه، فقد تعددت مواقفه، ففي دعوته لقومه في ديار فرعون:{قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين} {قالوا أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون}[65] وهو حوارٌ يحكي قصة معاناة قادة الإصلاح في سبيل هداية وإصلاح أقوامهم، ففي مقابل بذل النصح من موسى لهم بأهم أسلحة مقاومة الطغيان وهي الاستعانة بالله تعالى والصبر، قابله قومه بالأذى المعنوي والجسدي، ولم يُحسنوا الظنَّ به حتى صار قدوةً في ذلك ورأساً أحقُّ بالاتباع. وعندما رجع موسى من لقاء ربه فوجدهم قد اتخذوا العجل إلهاً يعبدونه، {ولما رجع موسى إلى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم امر ربكم والقى الألواح وأخذ برأس أخيه}[75] وقال: {قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وانت أرحم الراحمين} وعند دخول الأرض المقدسة إذ قال موسى في سورة المائدة: {يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين}[85]

ومن أهم أسس الحوار في دعوة موسى مع قومه أنه تناول القضايا الإنسانية التي سايرت البشرية منذ بعثته وحتى عصرنا الحالي ومازالت هي قضايا الإنسانية المعاصرة، وهي: الطغيان ووجوب مقاومته بالعلم ووجوب اتباعه وأهمه هدي الله ﷻ للبشرية، والدعوة إلى الله ﷻ والمصابرة في ذلك.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد فإن أساليب حوار سيدنا موسى مع قومه من الموضوعات التي تساحق البحث حيث بينت الدراسة المناهج التي كان فيها حوار موسى في بعض المواقف التي مرت بقومه.

النتائج:

1. إن دعوة موسى مع قومه أنه تناولت القضايا الإنسانية التي سايرت البشرية منذ بعثته وحتى عصرنا الحالي ومازالت هي قضايا الإنسانية المعاصرة وهي: الطغيان ووجوب مقاومته بالعلم ووجوب اتباعه.
2. أن حوارٌ سيدنا موسى يحكي قصة معاناة قادة الإصلاح في سبيل هداية وإصلاح أقوامهم، ففي مقابل بذل النصح من موسى لهم بالاستعانة بالله تعالى والصبر.
3. بذل موسى عليه السلام جهداً عظيما في دعوة فرعون وقومه لتسلط فرعون وخوف قومه منه أكثر من قناعتهم بألوهيته وربوبيته.
4. قابل موسى عليه السلام تعنت قومه بمزيدٍ من الصبر حتى صار قدوةً لقومه.

الهوامش

(1) ابـن منظـور أبـو الفضـل جـمال الديـن محمـد بـن مكـرم الإفريقـي المـصري (711هـ)، لسـان العـرب، دار النـشر دار صـادر، بـيروت.

(2) سورة الانشقاق الآية (3).

(3) مجـد الديـن محمـد بـن يعقـوب الفـيروز آبـادي الشـيرازي، القامـوس المحيـط، النـاشر دار الجيـل، مـادة (حـور).

(4) ابـن منظـور أبـو الفضـل جـمال الديـن محمـد بـن مكـرم الإفريقـي المـصري (711هـ)، لسـان العرب، مـادة حور.

(5) سورة الكهف الآية (37).

(6) سورة المجادلة الآية (1).

(7) عقل محمد صالح، مفهوم الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإنساني، ص87.

(8) محمد راشد ديماس، فنون الحوار والإقناع، الناشر: دار ابن حزم، ص20.

(9) فاطمة عيسى، غائب طعمه فرمان روانيا، ص 47.

(10) سورة الكهف الآية (34).

(11) سورة الكهف الآية (37).

(12) سورة المجادلة الآية (1).

(13) إسـماعيل بـن عمـر بـن كثـير الدمشـقي أبـو الفداء(774هـ): تفسـير القـرآن العظيـم. المحقـق: محمـد حسـين شـمس الديـن. النـاشر: دار الكتـب العلميـة، منشـورات محمـد عـلي بيضـون – بـيروت، الطبعـة الأولى 1419 هـ 2/81.

(14) محمـد بـن أحمـد بـن أبي بكـر بـن فـرح القرطبـي أبـو عبـد اللـه (671هـ) ـ الجامـع لأحـكام القرآن. تحقيـق: أحمـد الـبردوني وإبراهيـم أطفيـش ـ النـاشر دار الكتـب المصريـة – القاهـرة ـ الطبعـة الثانيـة، 1384هـ - 1964م (10/ 229).

(15) جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي ـ تفسير الجلالين ـ (1/385).

(16) محمـد بـن أحمـد بـن أبي بكـر بـن فـرح القرطبـي أبـو عبـد اللـه (671هـ) ـ الجامـع لأحـكام القـرآن ـ (10/ 300).

(17) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء(774هـ) ـ تفسير القرآن العظيم ـ (2/82).

(18) ابـن عطيـة أبـو محمـد عبـد الحـق بـن غالـب الأندلـسي المحـاربي (المتـوفى: 542هـ) ـ المحـرر الوجيـز في تفسـير الكتـاب العزيـز ـ (1/386).

(19) أبـو محمـد الحسـين بـن مسـعود بـن محمـد بـن الفـراء البغـوي الشـافعي (المتـوفى: 510هـ)، معـالم التنزيـل في تفسـير القـرآن (تفسـير البغـوي)، المحقـق: عبـد الـرزاق المهـدي، النـاشر: دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، الطبعـة الأولى، 1420 هـ (6/136).

(20) سورة الحج الآية (3).

(21) سورة الاسراء الآية (36).
(22) سورة العنكبوت الآية (46).
(23) سورة آل عمران الآية (14).
(24) سورة الغاشية الآية (21،22).
(25) سورة البقرة الآية (256).
(26) سورة القمر الآية (2).
(27) سورة الذاريات الآية (39).
(28) سورة الزمر الآية (18).
(29) محمد بن إسماعيل أبوعبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، (8/85).
(30) محمد بن إسماعيل أبوعبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، (1/23).
(31) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء(774هـ): تفسير القرآن العظيم. المحقق: محمد حسين شمس الدين. الناشر، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى 1419 هـ 2/81.
(32) سورة القصص الآية (15).
(33) سورة القصص الآيتين (16،17).
(34) سورة القصص الآيات (18،19،20).
(35) سورة القصص الآيات (21،22،23،24).
(36) سورة القصص الآيات (25،26،27،28).
(37) سورة النازعات الآيتين (23،24).
(38) سورة القصص الآية (38).
(39) سورة النمل الآية (14).
(40) سورة الشعراء الآية (16).
(41) سورة الشعراء الآية (40).
(42) سورة الشعراء الآية (16).
(43) سورة فصلت الآية (53).
(44) سورة الشعراء الآية (28).
(45) سورة طه الآية (52).
(46) سورة طه الآية (54).
(47) سورة طه الآية (60).
(48) سورة الشعراء الآية (40).
(49) سورة الأعراف الآية (116).
(50) سورة يونس الآية (82).

(51) سورة الأعراف الآية (129).
(52) سورة غافر الآية (25).
(53) سورة غافر الآية (26).
(54) سورة غافر الآية (27،28).
(55) سورة الأعراف الآية (19).
(56) سورة النحل الآية (125).
(57) سورة الأعراف الآيتين (128،129).
(58) سورة الأعراف الآية (150).
(59) سورة المائدة الآية (21).